نشوء المذهب اللوثري وتأثيرهُ على الدول الأوروبية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي

The emergence of the Lutheran doctrine and its impact on European countries during the first half of the sixteenth century AD

م.د. رائد محمد لزم

Dr.Ra'id Mohammed lezim

raedhistory@gmail.com

وزارة التربية/الكلية التربوية المفتوحة

Open Educational College

فرع القرنة/ قسم التأريخ

Qurna branch/History Department

كلمات مفتاحية: (حركة الإصلاح اللوثري، مارتن لوثر، البروتستانتية)

Keywords: (Lutheran Reformation, Martin Luther, Protestantism)

الملخّص:

حركة الإصلاح اللوثري هي حركةٌ دينيةٌ مسيحيةٌ إصلاحيةٌ، ظهرت في أوروبا في القرن السادس عشر الميلادي، وكانت محاولة لإحداث تغييرٍ في الكنيسة الكاثوليكية، ونتيجةً لهذا فقد أدّت إلى نشأة البروتستانتية، وبذلك فقدت الكنيسة الكاثوليكية قدراً كبيراً من نفوذها، إذ أضعفتها النزاعات الداخلية وبعض الممارسات الخاطئة، وفي الوقت نفسه أصبحت قوة الملوك المتزايدة تمثّل تهديداً صارخاً لسلطة البابا .

وكان قادة الإصلاح يتّهمون الكنيسة بأنّها قد أهملت مسؤولياتِها الروحية، ممّا جعل الناس يفقدون الثقة في قادتها، فأنتقد العديدُ من قادة الإصلاح الديني في أوروبا الكنيسةَ الكاثوليكية، وتزّعم حركة الإصلاح الديني الراهب مارت لوثر منذ عام 1517م، ولقد أدّت انتقاداتهُ إلى انفصالهم النهائي عن الكنيسة الكاثوليكية.

وفي أقل من أربعين عام أدّت حركة الإصلاح الديني اللوثري إلى قيام الكنائس البروتستانتية في أوروبا، بينما انبثقت حركة إصلاح أخرى من الكنيسة الكاثوليكية عُرفت بحركة الإصلاح المضاد، فأدّى هذا الانقسام بين الكنيستين إلى اندلاع سلسلة من الحروب الدينية بين البروتستانتية والكاثوليك .

Abstract:

The Lutheran Reformation was a Christian religious reform movement that emerged in Europe during the sixteenth century as an attempt to bring change to the Catholic Church. As a result, it led to the rise of rotestantism, causing the Catholic Church to lose a significant amount of its influence. The Church had been weakened by internal conflicts and certain improper practices, while the growing power of kings increasingly challenged the authority of the Pope .

The leaders of the Reformation accused the Church of neglecting its spiritual responsibilities, which caused people to lose confidence in its leaders. Many religious reformers across Europe criticized the Catholic Church . The movement was led by the monk Martin Luther beginning in 1517, and his criticisms eventually resulted in a complete break with the Catholic Church .

Within less than forty years, the Lutheran Reformation led to the establishment of Protestant churches throughout Europe. At the same time, another reform movement emerged within the Catholic Church, known as the Counter-Reformation . This division between the two churches led to a series of religious wars between Protestants and Catholics .

المقدّمة:

يُعدُّ المذهب اللوثري من أهمّ الحركات الإصلاحية الدينية التي ظهرت في أوروبا خلال النصف الأول من القرن السادس الميلادي، وتبرز أهميتها من كونها أعطت تفصيلاً دقيقاً لحال أوروبا في ذلك الوقت، كما أنّها أثمرت جملة من النتائج على المستوى السياسي، والاقتصادي، والثقافي، والاجتماعي، والديني، وأدّت فيما بعد إلى ما سُمي بالبروتستانتية، والتي كان لها أثر كبير على مختلف نواحي الحياة المتعددة، ولا تزال آثارها ماثلةً في أوروبا .

وقد عكس المذهب اللوثري التعاليم الأساسية للكنيسة اللوثرية، وهي مبدأ النعمة المجانية، وهو يؤكّد على أنّ الإنسان لا يستطيع أن يتحقق لدى الله تعالى بنفسه من خلال الأعمال الصالحة، ولكن هذا يتحقّ من خلال الله المجانية التي تُعطى للمؤمنين ويتمُّ التبرّع بها بواسطة الإيمان، والنظام الجوهري وهو مبدأ يؤكّد على أنّ الكتاب المقدس هو المرجع الوحيد في جميع الأمور الروحية والمسيحية ولا توجد تعاليم إضافية يجب الالتزام بها، وانبثق المذهب اللوثري من التعاليم البروتستانتية التي اعتمد عليها مارتن لوثر(MartinLuther)، حتّى أنّ المذهب سُمّي باللوثرية نسبةً إلى اسمه، الذي بدأ بجهوده لتجديد (اللاهوت) و(النظام الكنسي) .

ويعتقد اللوثريون أنّ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد هو الكتاب الوحيد الموحى، والمصدر الوحيد لوحي الله، والنمط الوحيد للتعليم المسيحي، والكتاب المقدس وحدهُ هو المبدأ للإيمان، والسلطة النهائية لكل قضايا الإيمان والأخلاق بفضل سلطانه ووضوحه وفعاليته وكفايته .

وعلّم مارتن لوثر أتباعهُ أنّ الكتاب المقدس هو كلمة الله تعالى المكتوبة والدليل الوحيد الموثوق به في مسألة الإيمان والشعائر، وركّز مارتن لوثر من خلال مذهبه على مهاجمة الكنيسة وتحديداً صفقة الكنيسة في منح صكوك الغفران (Indulgences)، فبدلاً من شراء العفو عن الخطايا بالمال ينبغي على المرء أن يُظهر لربّه الندم الحقيقي في قرارة نفسه وفقاً لما نادى به مارتن لوثر .

المبحث الأول: ظهور الإصلاح وولادة مارتن لوثر في المانيا .

لم يكن ظهور المذهب اللوثري، حدثاً مفاجئاً، بل كان نتيجة تراكمات تاريخية طويلة. وقد لعبت عوامل عدة ومنها: عوامل دينية، واقتصادية، وسياسية (البطريق،135،136) .

شهدت الكنيسة الكاثوليكية في القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس تفشي ظواهر سلبية عديدة كان أبرزها المحسوبية في تعيين رجال الدين، وتراكم الثروات الهائلة في أيديهم، وبيع صكوك الغفران للمؤمنين مقابل الوعد بالمغفرة من الخطايا وتقليل مدة العذاب من أكثر الممارسات إثارة للجدل والاستياء الشعبي، كانت الإمارات الألمانية تعاني من استنزاف اقتصادي كبير، بسبب تدفق الأموال إلى روما لتمويل المشاريع الضخمة، وعلى رأسها بناء كاتدرائية القديس بطرس في روما، كان هذا الاستنزاف المالي يثير استياء الأمراء الألمان والطبقات التجارية الصاعدة، الذين رأوا في سيطرة الكنيسة، على الأراضي والثروات عائقاً أمام تطلعاتهم السياسية والاقتصادية، كما كان هناك تيار فكري متنامٍ في أوربا يدعو للعودة إلى النصوص المقدسة الأصلية وإلى نقاء المسيحية الأولى، وكذلك تأثر هذا التيار بحركة النهضة الإنسانية التي أعادت اكتشاف النصوص الكلاسيكية وشجعت على النقد العقلاني والبحث العلمي، يضاف إلى ذلك إنّ للمفكرين الإنسانيين، دور كبير في نقد الممارسات الكنسية والدعوة إلى إصلاح داخلي، وإن لم يصل نقدهم إلى حد الانشقاق الذي قاده لوثر لاحقاً(سليمان،1990م،75،73،70) .

كذلك ساعدت التطورات التقنية، وخاصة اختراع المطبعة في منتصف القرن الخامس عشر دوراً حاسماً في تسهيل انتشار الأفكار الإصلاحية، فقد أتاحت المطبعة إمكانية نشر الكتب والنشرات بكميات كبيرة وبتكلفة منخفضة، مما ساعد على انتشار مؤلفات الحضارة القديمة الدنيوية، والدينية في كل مكان، وأرد بعضهم الرجوع إلى نصوص الكتاب المقدس، وآباء الكنيسة؛ ليطهروا الكنيسة من الشوائب التي ظهرت على مّر القرون، فقام في القرن السادس عشر أناس شرعوا في إصلاح الكنيسة(القصيفي، 238،239) .

مارتن لوثر: وُلد مارتن لوثر في عام 1483م، في بلدة آيزليبن بألمانيا من أبوين فقيرين هما يوحنا لوثر(John Lwther)، ومرغريت لنديمان (Margaret Lindeman)، ونشأ في بيئة قاسية تركت تأثيرات كثيرة في شخصيته، دفعته إلى نوع من الانطوائية، مّما أثر ذلك في اتخاذ بعض القرارات المهمة في حياته، وكان ابوه محباً للعلم، ويرغب أنْ يجعل ابنه معلماً، وفي الثامنة عشر من عمره أنهى دراسته الثانوية في مدينة ايزناخ (فاضل، 523) .

نال شهادة في العلوم من جامعة أرفورت 1505م، ودرس القانون قبل أنَّ يتحول إلى الحياة الرهبانية عام 1507م، ثم عين لرعاية كنيسة فيتنبرج في المانيا، وتزوج من الراهبة كاترين فون بور (Bohr Katrin Von)، وله منها ستة أولاد(الكيالي، 1974، 462) .

عانى لوثر من أزمة روحية عميقة تتعلق بمسألة الخلاص والعلاقة بين الإنسان والله تعالى، وهو ما دفعه إلى دراسة اللاهوت بعمق والتدريس في جامعة فيتنبرج (القصيفي، 244) .

زار روما عام 1510م، وفي هذه الزيارة شاهد بأم عينه رجال الدين، فزاد قلقه وتركت الزيارة في نفسه اثراً، ومنها إلى عام 1515م استطاع مارتن لوثر الاهتداء إلى العقيدة وبدورها ساعدته على الوصول إلى الهدوء النفسي الذي يطمح اليه وتتلخص هذه العقيدة (أن الايمان المطلق برحمة الله تعالى، هو الذي يضمن النجاة من عقاب . فإنّ الإنسان إذا ما كان مؤمناً، فإنهّ يستطيع الخلاص بالرغم مما استقر في نفسه شرور، أمّا الطقوس، كالحج، والإحتفالات الدينية، والهمس في المسابح، وإيقاد الشموع، وعبادة المخلفات الدينية، فلا جدوى منها)(رمضان، 1997، 115-116) .

وفي عام 1512م حصل على شهادة الدكتوراه في أصول الدين، ومثلها في الكتاب المقدس، ثم عاد إلى جامعة فيتنبرج ليمارس التدريس(فاضل، 201) .

وكان مارتن لوثر يدعو إلى إقامة كنيسة بسيطة غير باهضة التكاليف، يقتصر دورها على تفسير نصوص الكتاب المقدس ودعوة الناس إلى الايمان، ورأى لوثر أن سلطة الدولة هي الوسيلة التي توفر الامن والإستقرار للمسيحين فمن الواجب عليهم إطاعة السلطة، وعدم التمرد عليها تحت أي ظرف، وكان الهدف من ذلك هو طمأنة الأمراء والنبلاء الذين روادهم الشك في البداية من نوايا لوثر الذي كان يعتبرهم العقدة الأساسية لإصلاحه الديني(مـراد واخـرون، 1988، 53، 54) .

وعلى الرغم من ذلك فقد تجمعت من المانيا فئات واسعة حول الشعارات التي رفعها لوثر فـي بداية تحركه، ولكن لكل فئة منها لـه مصالحها الخاصة التي تنطلق منها، فالـفئة الأولى: وهـم النبلاء كـانوا يطمحون من خلال مشاركتهم إلى توسيع ممتلكاتهم، والفئة الثانية: هـم الانسانيون وكان هدفهم تحرير الفكر الأوربي من قيود الكنيسة والرغبة إلى حياة أفضل، أمـا الثالثة: فـهي الفئات الدنيا وكانت حـركة الإصلاح بالنسبة لـها تعني إجراء تغيرات جذرية في الكنيسة، والنظام الاجتماعي، ولـم تكن لها فكرة عن المناقشات الفكرية، لكن لوثر اعتمد عليهم لتحدي رجال الدين(مراد واخرون، 1988،54) .

لقد صُدم مارتن لوثر1517م، بعد أن شرع البابا، بتعمير كنيسة القديس بطرس في روما، ولجمع الأموال قام ليو العاشر(Leo X)، بنشر صكوك الغفران في جميع انحاء المانيا وارسل لهذه المهمة أحد

الرهبان يدعى تتزل(Tetzel)، وهو راهب كاثوليكي، وكان يدعي بأن لصكوك الغفران قوة، ولكن مارتن لوثر أنكرها؛ لأنها لا تتفق مع الدين المسيحي وكتب الاطروحات المتكونة من (95) مادة، كتبت جميعها باللغة اللاتينية، عارض بها هذه الصكوك، وقام لوثر بتعليق وثيقته الشهيرة على باب كنيسة فيتنبرج، وكانت هذه الأطروحات في الأصل دعوة لمناظرة أكاديمية وخصوصاً من الطبقة المهذبة حول ممارسة بيع صكوك الغفران، لكنها سرعان ما تحولت إلى بيان ثوري ضد سلطة الكنيسة الكاثوليكية(سليمان، 1937، 97).

وانتشرت الأطروحات بسرعة مذهلة في جميع أنحاء ألمانيا وأوروبا بفضل المطبعة، وأثارت جدلاً واسعاً في الأوساط الدينية والأكاديمية والشعبية، ورأى الكثيرون في لوثر بطلاً يتحدى الفساد الكنسي، بينما اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية مهرطقاً يهدد وحدة المسيحية(القصيمي، 246) .

ودعا لوثر حكام ألمانيا إلى إرغام الكنيسة على قبول الإصلاح طالما أنّها لم تستجب لدعواته المتكررة لها لإصلاح نفسها ولخص لوثر مبادئه بما يأتي: (إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية، وإباحة زواج رجال الدين، والحد من الأديرة والاتجاه لإلغاء الرهبنة والديرية، وليس للبابا الحق في احتكار تفسير الإنجيل)(الجمل، 2000، 48-49) .

وفي عام 1519م صرح مارتن لوثر:(أكاد لا أشك في أن البابا هو المسيح الدجال)، وأوضح فكره في المؤلفات الإصلاحية الثلاثة الكبرى والتي نشرها بعد عام من تصريحه: (نداء إلى الأشراف المسيحين من الامة الألمانية، وأسر الكنيسة في بابل، وحرية المسيحي)، ودعا إلى عقد مجمع مع تأكيده أن المجمع غير معصوم من الخطأ، ثم في السنة التالية صدرت البراءة البابوية التي تشجب (41) قضية منسوبة إلى مارتن لوثر، وأمهل مدة شهرين ليعلن خضوعه إلى الكنيسة، لكنه قام بحرق البراءة أمام الناس، وفي عام 1521م حرمه البابا، ولما استدعى مارت لوثر إلى مجلس فورمس(Forms)، وهو مجلس يضم أمراء الامبراطورية، ومثل أمام الأمبراطور شارل الخامس(Gharles V)، لكنه رفض بشدة وأكد أنه ملتزم بالكتاب المقدس وضميره ولم يغير مواقفه، ولا يمكنه أنَّ يتراجع عن قناعاته ما لم يُقنع بالكتاب المقدس أو بالعقل، وأطلق عبارته الشهيرة: (هنا أقف، لا أستطيع غير ذلك)، فحُكم بطرده من الإمبراطورية نتيجة لذلك، أصدر الإمبراطور شارل الخامس مرسوم فورمس الذي أعلن لوثر خارجاً عن القانون ومهرطقاً(صالح،1981، 183،184) .

لكن الأمير فريدريك (Frederick)، أمير ساكسونيا، قام بحمايته وإخفائه في قلعة ارتبرج والإقامة فيها، واستغل وجوده في هذه الفترة لترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، مّما عمل على اثراء هذه اللغة والمساعدة على نمو الادب الألماني، وسّهل عامة الناس للأطلاع على الكتاب المقدس، كما أن

فليب مانكتون(Philip Mankton)، وضع كتاباً في اللاهوت معتمداً على الانجيل مّما سهل كذلك على انتشار الفكر اللوثري، فضلا عن منح جامعة فيتنبرج مارتن لوثر منبراً يشرح فيه أفكاره وكيفية انتشارها(يحيى،1981، 444) .

المبحث الثاني: انتشار المذهب اللوثري في ألمانيا والدول الاوربية الأخرى .

عاد مارتن لوثر سراً إلى فيتنبرج عام 1522م وكتب (خلال غيابي، دخل الشيطان إلى حظيرة الأغنام في بلادي، جالباً ويلات عديدة لا يمكن إصلاحها عن طريق الكتابة فقط، بل من خلال وجودي الشخصي، وكلماتي المعاشة)، وفي مناسبة الصوم الكبير أعلن مارتن لوثر ثمانية خطب عرفت باسم (العضات)، ناقش في الأولى أهمية سيادة القيم المسيحية مثل الحرية، والحب، والصبر، والإحسان، والثقة بالله، أما المجموعة الثانية فكانت حول تعديل ممارسات الكنيسة، كما عمل مع السلطات المدنية لاستعادة النظام العام(فاضل، 209،208) .

انتشرت أفكار لوثر بسرعة كبيرة في الإمارات الألمانية خلال عشرينيات القرن السادس عشر وكان لهذا الانتشار السريع أسباب عدة: منها وجدت أفكار لوثر صدى واسعاً لدى الطبقات الشعبية التي كانت تعاني من الاستغلال الاقتصادي والروحي من قبل الكنيسة، ورأى العديد من الأمراء الألمان في اللوثرية فرصة لتعزيز استقلالهم السياسي عن الإمبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية، والاستيلاء على ممتلكات الكنيسة الواسعة في أراضيهم، كما أن تمتع لوثر بالشجاعة والتأثير ساعد ذلك على تكوين وحدة كاملة من رجال الدين والنبلاء والفلاحين، فثاروا ضد الكنيسة وصادروا أملاكها وألغوا المراسيم والطقوس وهكذا انتشرت دعوته(صالح، 1981، 185، 186) .

تبنى العديد من الأمراء الألمان المذهب اللوثري رسمياً، وعلى رأسهم فيليب الأول(Philip I)، أمير هسن، وجون (John) ناخب ساكسونيا، قاموا بإصلاح الكنائس في إماراتهم وفقاً للمبادئ اللوثرية، وصادروا أملاك الأديرة، والكنائس الكاثوليكية، وإنّ هذا التحول الديني لم يكن سلمياً دائماً؛ فقد أدى إلى صراعات داخلية وتوترات اجتماعية، أبرزها حرب الفلاحين الألمان (1524–1525م) التي اندلعت جزئياً بتأثير من الأفكار الإصلاحية، وإن كان لوثر نفسه قد أدان العنف الذي مارسه الفلاحون . لكنه واجه معارضة قوية من المحافظين المطالبين بالمحافظة على الطقوس الدينية، مّما أدى إلى اثارة العنف والاضطرابات بين أبناء المجتمع، وعلى الرغم من رفض مارتن لوثر العنف فإنّ مساعديه أمثال نيكولاس ستورش(Nicholas Storch)، قاموا بتحريض الفلاحين الالمان خلال الفترة (1524–1525م)، للثورة التي ارتكبت خلالها ابشع الفظائع، وغالباً كانت تحت اسم مارتن لوثر، ورغم انتشار الثورات الفلاحية في المانيا خلال القرن المنصرم ألا أنَّ منشورات مارن لوثر في رفض التراتبية الهرمية في الكنيسة، واستخدام عبارات مثل الحرية وغيرها، أدى إلى اعتقاد الفلاحين بأنه سيدعم أي هجوم ضد الطبقات العليا، فاندلعت ثورات في (فرانكوفونيا، وشوابيا، وساكسونيا السفلى)، عام 1524م وتحول الأمر إلى صدامات مسلحة وتعاطف مارتن لوثر مع

الفلاحين وأظهر ردّه في مقالاته (الاثني عشر) التي صدرت بعد عام من الاضطرابات، لكن في الوقت نفسه أكد على وجوب طاعة السلطة وخلال جولته في ساكسونيا السفلى، وهي احد مناطق الاضطرابات، كما أشرنا أعلاه . انتقد حرق الأديرة، ومقرات الأساقفة، والمكتبات، والعمليات التي رافقتها من قتل وسرقات، كما أدان أعمال العنف ودعا إلى إخمادها، يضاف إلى ذلك أنهم بهذه الأعمال تحت شعار الإنجيل، وبذلك برر مارتن لوثر معارضته للثورة، مّما أثر على المسلحين والقى الكثير منهم أسلحته(فاضل،209،210) .

وتمكن الامبراطور والامراء ومن تحالف معهم وبدعم من البابوية من قمع الفلاحين، وراح ضحية ذلك (100)الف فلاح، وبذلك فشلت ثورة الفلاحين لأسباب عديدة منها: عدم التكافؤ بين الجانبين، وبعثرة أطرافها، وكان لموقف مارتن لوثر أثر كبير في فشلها، كما إنّ فشل الحركة وضع الإصلاح الديني أمام خطر، فقد حاولت الكنيسة والقوى المرتبطة بها إستعادة سيطرتها ونفوذها من جديد في المانيا، لكن أكثرية الأمراء الذين سيطروا على الكثير من ممتلكات الكنيسة وقفوا ضد هذا التوجه، مّما أدى إلى إندلاع الحرب بين الإمبراطور والإمراء الكاثوليك وبدعم من البابوية من جهة، والأمراء اللوثريون البرتستانت، من جهة أخرى، ولما كان الامبراطور منشغلاً بالحروب الأجنبية مع فرنسا وإيطاليا وتركيا، لذا لم يستطيع مكافحة اللوثرية، لكن بعد توقيع الامبراطور الصلح مع ملك فرنسا، وتفرغ لمحاربة البروتستانت واستعان لقتالهم بجيش أسباني يقدر عدده (40) ألف، واندلعت الحرب عام 1547م وعرفت باسم شمالكالد (Northald)، وكان الانتصار حليف الامبرطور، وتم أسر الأمير فردريك واعلن البروتستانت استسلامهم، لكن هذه العملية كانت مؤقتة، وظهر حلف واسع من الإمراء البرتستانت، وإمراء من الكاثوليك ضد الامبراطور وهاجموه واوقعوا به الهزيمة عام 1552م، وهرب على إثرها إلى مقاطعة كارنتيا(مراد واخرون، 1988، 58،57) .

ولم يقتصر تأثير الإصلاح اللوثري على ألمانيا، بل امتد إلى دول أوروبية أخرى خلال النصف الأول من القرن السادس عشر في الدول الاسكندنافية (الدنمارك، النرويج، السويد)، وتبنى الملوك المذهب اللوثري رسمياً في عشرينيات وثلاثينيات القرن السادس عشر، وأصبحت الكنيسة اللوثرية هي الكنيسة الرسمية للدولة، وكان الملك غوستاف فاسا(Gustav Vasa)، ملك السويد من أوائل الملوك الذين تبنوا اللوثرية وصادروا أملاك الكنيسة الكاثوليكية لتعزيز سلطته المركزية(Schütte,Schorn,2012,30,45) .

وفي سويسرا ظهرت حركات إصلاحية مستقلة لكنها متأثرة بأفكار لوثر، قادها أولريش زوينجلي(Ulrich Zwingli)، في زيورخ، ولاحقاً جون كالفن(Gohn Calvin)، في جنيف، وعلى الرغم من الاختلافات اللاهوتية بين اللوثرية والكالفينية، إلا أن كلتيهما كانتا جزءاً من الحركة البروتستانتية الأوسع(يحيى،446،447) .

وفي إنجلترا، كان للإصلاح اللوثري تأثير غير مباشر على الإصلاح الإنجليزي الذي قاده الملك هنري الثامن(Henry VIII)، في ثلاثينيات القرن السادس عشر، وعلى الرغم من أن الإصلاح الإنجليزي كان مدفوعاً في البداية لأسباب سياسية (رغبة هنري في الطلاق)، إلا أن الأفكار اللوثرية انتشرت بين المثقفين الإنجليز وأثرت على تطور الكنيسة الأنجليكانية(زينب،41،40،2016) .

المبحث الثالث: التأثيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمذهب اللوثري .

احتج الأمراء اللوثريون رسمياً 1529م ضد قرار مجلس الإمبراطورية في سبير الذي حاول تقييد انتشار اللوثريين واعتبرت مارتن لوثر خارجاً على القانون وهدر دمه، وكانت هذه القرارات ضربة للوثريين وضياعاً للحقوق التي حصلوا عليها في مجلس سبير عام 1526م، ومن هنا جاء مصطلح البروتستانت في عام 1530م، حيث قدم الأمراء البروتستانت اعتراف أوغسبورغ (Augsburg Confession)، وهو بيان رسمي للعقيدة اللوثرية كتبه فيليب ميلانشثون (PhilippeMelench0n)، أحد أقرب معاوني مارتن لوثر، في محاولة للتوصل إلى تسوية مع الكاثوليك، لكن المحاولة فشلت(نوار، 128) .

أمّا التأثيرات الاجتماعية والثقافية فقد أحدث المذهب اللوثري تحولات اجتماعية وثقافية عميقة في المجتمعات الأوروبية التي تبنته. فعلى الصعيد الاجتماعي، أدى مبدأ كهنوت جميع المؤمنين إلى تقليص الفجوة بين رجال الدين والعلمانيين، وأعطى الأفراد العاديين دوراً أكبر في الحياة الدينية والمجتمعية، كما شجع لوثر على التعليم العام وتعلم القراءة والكتابة حتى يتمكن الناس من قراءة الكتاب المقدس بأنفسهم، مّما أدى إلى انتشار التعليم وارتفاع معدلات مـعرفة القراءة والكتابة فـي المناطق الـبروتستانتية (McGrath,1988,35) .

على الصعيد الثقافي، كان لترجمة لوثر للكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية تأثير هائل على تطور اللغة الألمانية الحديثة وتوحيدها، واستخدم لوثر لغة بسيطة وواضحة يفهمها عامة الناس، مّما ساعد على توحيد اللهجات الألمانية المختلفة وإرساء أسس اللغة الألمانية الفصحى(Melanchthon,23,30).

كما أثر الإصلاح اللوثري على مفهوم الأسرة والزواج، ورفض لوثر فكرة العزوبة الإلزامية لرجال الدين، وتزوج هو نفسه من راهبة سابقة تدعى كاثرينا فون بورا (Kathrina Von Bora)، عام 1525م، مما أعطى نموذجاً جديداً لحياة رجال الدين البروتستانت، وأكد لوثر على قدسية الزواج والحياة الأسرية، معتبراً أنَّ الحياة العائلية هي دعوة مقدسة لا تقل أهمية عن الحياة الرهبانية(Ozment,1980,255,257) .

وكان للحركة اللوثرية تأثيرات عميقة على الثقافة والفنون في أوروبا، وإن كانت هذه التأثيرات متباينة ومعقدة، فمن جهة أدت اللوثرية إلى تبسيط العبادة المسيحية وإزالة الكثير من العناصر الفنية والطقسية التي كانت سائدة في الكنيسة الكاثوليكية، ومن جهة أخرى، شجعت على أشكال جديدة من التعبير الفني والثقافي، خاصة في مجالات الموسيقى والأدب(Mauslein,2018,45,50) .

وفي مجال الفنون البصرية، كان موقف لوثر أكثر اعتدالاً من بعض المصلحين الآخرين، مثل زوينجلي وكالفن، الذين رفضوا استخدام الصور والتماثيل في الكنائس بشكل كامل، أما لوثر فلم يعارض الفن الديني في حد ذاته، لكنه عارض تكريم الصور والتماثيل كأشياء مقدسة أو وسائط للنعمة الإلهية، وقد أدى ذلك إلى تقليل كبير في إنتاج الفن الديني في المناطق اللوثرية، مقارنة بالمناطق الكاثوليكية التي شهدت ازدهارًا فنيًا كبيرًا خلال فترة الإصلاح المضاد(Mauslein,2018,53) .

وفي مجال الأدب، كان لترجمة لوثر للكتاب المقدس إلى الألمانية تأثير هائل على تطور اللغة الألمانية والأدب الألماني، فقد استخدم لوثر لغة ألمانية واضحة وقوية وجميلة، استمدها من اللهجات المختلفة ومن لغة الناس العاديين، وقد أصبحت ترجمته معيارًا للغة الألمانية الفصحى، وأثرت على جميع الكتاب الألمان اللاحقين، كما أن تركيز اللوثرية على القراءة والتعليم ساهم في تطور ثقافة أدبية واسعة في المناطق البروتستانتية(Mauslein,2018,55,60) .

أما التأثيرات الاقتصادية: كان للإصلاح اللوثري تأثيرات اقتصادية كبيرة على الدول الأوروبية، أدت مصادرة أملاك الكنيسة والأديرة من قبل الأمراء البروتستانت إلى إعادة توزيع هائل للثروة والأراضي، استخدم الأمراء هذه الثروات لتعزيز سلطتهم السياسية وتمويل جيوشهم وإدارتهم (Parker, 1997,35,37) .

كما أثرت الأفكار اللوثرية على الأخلاقيات الاقتصادية والموقف من العمل، أكد لوثر على قيمة العمل الدنيوي واعتبره دعوة إلهية مّما ساهم في تطوير ما سيُعرف لاحقاً بأخلاقيات العمل البروتستانتية التي ربطها عالم الاجتماع ماكس فيبر(Max Weber)، بظهور الرأسمالية الحديثة(Rabe,1981,115,121) .

كذلك أدى توقف تدفق الأموال من الإمارات البروتستانتية إلى روما إلى تقليص الموارد المالية للبابوية، مّمــا أثــر عــلى قدرتها على تــمويل مشاريعها الضخمة، والــحفاظ عـلى نفوذها السياسي (Roberts,1968,50) .

ومن جهة أخرى ردت الكنيسة الكاثوليكية على التحدي البروتستانتي بحركة إصلاح داخلي عُرفت بالإصلاح المضاد أو الإصلاح الكاثوليكي . بدأت هذه الحركة تتبلور في أربعينيات القرن السادس عشر، وتمثلت في عدة مبادرات: منها تأسيس الرهبانية اليسوعية على يد إغناطيوس دي لويولا (Ignatius of Loyoia)، عام 1540م، والتي لعبت دوراً محورياً في نشر التعليم الكاثوليكي ومحاربة البروتستانتية، كذلك عقد مجمع ترنت (1545–1563م) الذي أعاد تأكيد العقائد الكاثوليكية التقليدية، وأدخل إصلاحات إدارية وأخلاقية على الكنيسة، يضاف إلى ذلك استخدمت الكنيسة الكاثوليكية محاكم التفتيش لقمع الهرطقة البروتستانتية في الدول الكاثوليكية، خاصة في إسبانيا وإيطاليا، أدت هذه المواجهة بين البروتستانتية

والكاثوليكية إلى انقسام ديني دائم في أوروبا، وإلى سلسلة من الحروب الدينية التي استمرت حتى القرن السابع عشر (مراد واخرون، 66-69) .

وفي السنوات الأخيرة لمارتن لوثر، بدأ يعاني من اعتلال صحي بين عامي(1531–1546م)، وكذلك الصراع مع روما، وفضلاً عن الانشقاقات مع زملائه، ويضاف إلى ذلك فضيحة السماح للأمير فليب(philip)، التزوج من زوجتين، بالتالي أدى إلى تدهور حالته الصحية حتى أصيب بالذبحة الصدرية عام 1544م، وادت إلى وفاته عام 1546م (فاضل، 221) .

الخاتمة:

1- إنّ نشوء المذهب اللوثري في مطلع القرن السادس عشر الميلادي كان نقطة تحول حاسمة في التاريخ الأوربي .

2- وكذلك إن دراسة نشوء المذهب اللوثري وتأثيراته تُظهر لنا كيف يمكن لأفكار فرد واحد، مدعومة بظروف تاريخية، وبوسائل اتصال جديدة (المطبعة)، أن تُحدث تحولاً جذرياً في مسار الحضارة الإنسانية، التغييرات الكبرى نادراً ما تكون نتيجة عامل واحد، بل هي نتاج تفاعل معقد بين عوامل متعددة .

3- وقف مارتن لوثر إلى جانب الفلاحين ودعم ثورتهم في البداية، ثم عارضهم نتيجة ممارساتهم .

4- قام مارتن لوثر بنوع فصل الدين عن الدولة، وإعطاء الأمراء امتيازات لم تكن لهم من قبل .

5- لم يكن الإصلاح اللوثري مجرد حركة دينية، بل ثورة شاملة أعادت تشكيل البنية السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية لأوروبا .

6- نتج عن الاصلاح اللوثري صراعات دينية دموية استمرت لأكثر من قرن، وتعمقت الانقسامات السياسية في أوروبا، مع ذلك لا يمكن إنكار أن الإصلاح اللوثري كان من أهم العوامل التي شكلت أوروبا الحديثة .

المصادر :

اولاً- المصادر العربية:

(1) البطريق، عبد الحميد وعبد العزيز نوار،(د.ت)التاريخ الأوربي من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، د.ط، دار النهضة العربية، بيروت .

(2) سليمان، علي حيدر،(1990م)، تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة، ط1، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، بغداد .

(3) القصيفي، جاد، (د.ت)، الأديان من أولها إلى خاتمها المسيحية تاريـخاً وعقيدةً، د.ط، حرش ثابت، سان جورج .

(4) فاضل، أحمد ناصر،(2022م)، مارتن لوثر واثره في الديانة المسيحية، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد الأول، العدد(32)، العراق .

(5) الكيالي، عـبد الوهاب وكامل زهيري،(1974م) الـموسوعة السياسية، ط1، الـمؤسسة الـعربية للدراسات والنشر، بيروت .

(6) رمضان، عبد العظيم، (1997م)تاريخ أوربا في العصر الحديث من ظهور البورجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة، ج1، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر .

(7) مراد، خليل علي واخـرون، (1988م) دراسات في التاريخ الأوربي الحديث المـعاصر، د.ط، جامعة الـموصل .

(8) سليمان، علي حيدر، (1937م)، تاريخ أوربا الحديثة، ط1، مطبعة دنكور، بغداد .

(9) الـجمل، شوقي عبد الله وعبد الله عبد الرزاق ابراهيم،(2000م)، تاريخ أوربا مـن النهضة حتى الحرب الباردة، د.ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة .

(10) صالح، محمد محمد، (1981م)، تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية(1500-1789م)، د.ط، مطبعة دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد .

(11) يحيى، جلال، (1981م)، أوربا في العصور الحديثة، د.ط، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية .

(12) زينب، كوحيل، (2016م)، الإصلاح الديني وعلاقته بالسياسة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية علوم الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر .

References:

(1)Al-Batriqi, eabd alhamid waeabd aleaziz nawar,(da.ti)altaarikh al'uwrubiyu min easr alnahdat 'iilaa mutamar fina, du.ti, dar alnahdat alearabiati, bayrut.

(2)Sulayman, Ali Haydar,(1990mi), tarikh alhadarat alawiribiyat alhadithati, ta1, dar wasit lildirasat walnashr waltawzie, Baghdad .

(3)Al-Qasifi, Jad, (da.t), al'adyan min 'awaliha 'iilaa khatamiha almasihiat tarykhaan weqydtan, du.ti, harash thabiti, san jiwrj .

(4)Fadel, Ahmed Nasser,(2022mi), martin luthar wathirah fi aldiyanat almasihiati, majalat aleulum al'iislamiati, almujalad al'awala, aleadadi(32), Al-eiraq .

(5) Al-Kayyali, Abdul Wahab, and Kamel Zuhairi (1974m) almusueat alsiyasiati, lildirasat walnashri, Bayrut. ta1, almuasasat alerabia .

(6) Ramadan, Abdel-Azim, (1997m) tarikh 'uwrba fi alesar alhadith min zuhur alburujuaziat al'uwrubiyat 'iilaa alharb albaridatu, ja1, du.ta, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi Misr .

(7) Murad, Khalil Ali, wakhrun , (1988ma) dirasat fi altaarikh al'uwrubiyi alhadith almueasir, du.ti, jamiea Almusil .

(8) Sulayman, Ali Haydar, (1937mi), tarikh 'uwrba alhadithati, ta1, matbaeat dinkur, Baghdad .

(9) Al-Jamal, Shawqi Abdullah and Abdullah Abdul-Razzaq Ibrahim ,(2000mi), tarikh 'uwrba man alnahdat hataa alharb albaridatu, du.ta, almaktab almisrii

litawzie almatbueati, Alqahira .

(10) Salih, Muhammad Muhammad, (1981mi), tarikh 'uwrba mun easr alnahdat wahataa althawrat alfarinsiatu(1500- ma), du.ta, matbaeat dar aljahiz- liltibaeat walnashri, Baghdad .

(11) Yahya, Jalal, (1981mi), 'uwrba fi aleusur alhadithati, du.ta, alhayyat almisriat lilkitabi, al'iiskandaria .

(12) Zainab Kouhil (2016mi), al'iislah aldiyniu waealaqatuh bialsiyasati, risalat majistir (ghayr manshuratin) wariqlatu, Aljazayir Kuliyat eulum aliajtimaeiati, jamieat qasidiun mirbah .

ثالثاً: المصادر الأجنبية:

(1) Schütte,Schorn, L, (2012)Martin Luther and the German Reformation, In A. McGrath, The European Reformation Oxford Blackwell .

(2) McGrath, A,(1988), Justification by Faith, Origins and Development of a Central Idea, University Press Cambridge, p.35 .

(3) Melanchthon, P, The Augsburg Confession1530-1959, Translated: by F. Bente, In The Book of Concord, Fortress Press, Philadelphia, pp. 23-30 .

(4) Ozment, S, (1980), The Age of Reform 1250-1550 An Intellectual and History of Late Medieval and Reformation Europe, Yale Religious University Press, New Haven, P.255-257 .

(5) Mauslein, J, (2018), Martin Luther's impact on Germanic culture, Undergraduate Research Journal, (1), P.45-50 .

(6) Parker, G, (1997), The Thirty Years' War, London, P.35-37 .

(7) Rabe, T, (1981), The Schmalkaldic War Religious and Political Conflict in Germany under Charles V. 1546-1547, Leiden, , P.115-121 .

(8) Roberts, M, (1968), A History of Sweden 1523-1611, Cambridge University Press, Cambridge, ,P.50 .